

وجوه الخطاب في القرآن الكريم (مدلولاتها و فوائدها)

* دكتور عبد الحي مدني

Different aspects of address (speech) in Holy Quran (its meanings and benefits)

This last divine book Holy Quran is a great miracle given to last prophet Muhammad (peace be upon him) and this book has many miracle of its own. One of these miracles is its style of addressing (speech). We picked twenty two different modes of address used in Holy Quran and mentioned all these modes one by one with definitions: General with examples, Specific for Specific with examples, Specific for General with examples, General for Specific with examples, Gender with examples, Essence with examples, Praise with examples, Dispraise with examples, Sarcasm with examples, Plural by Singular with examples, Singular by Plural with examples, Two by Singular with examples, Plural after Singular with examples, Consideration with examples, Inorganic with examples, Rash with examples, Explanation with examples, Anger with examples, Preference with examples, Inimitability with examples, Coloring with examples. Giving its explanation, meaning, examples, benefits, and its impacts supported by Quranic verses, Hadiths, and opiniosns of scholars like Imam Shoukani, Imam Al-Zarkashi, Imam Shafi, Al-Ghazali, Al-Shanqeeti, Ibn-e-Taimiyyah, Ibn-e-Hazam

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

ما بعث الله نبياً ولا رسولاً إلا أيدته بالمعجزة لتكون دليلاً لرسالته وتأييداً لدعوته وصدق
نبوته كان القرآن الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى الذي أعجز

* أستاذ مساعد بجامعة ابن اي دي للهندسة و التكنولوجيا كراتشي

الفصحاء والبلغاء وأهل العلم والفكر ، وبه أحيا الله القلوب وأناء البصائر وأخرج الأمة من الجهل والرذيلة والشرك إلى الهدى والفضيلة والإيمان اليقين ولقد عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أن سر سعادتهم في الدارين يكمن في القرآن فبات همهم تعلم القرآن حفظاً وفهماً وتطبيقاً فعلينا معشر المسلمين أن نسترشد بتعاليم القرآن ونعمل به كما استرشد السلف بتعاليمه وعملوا به ومما لا شك فيه أن من أجل الفنون وأشرفها علم التفسير الذي هو تبين معاني كلام الله وقد وضع أهل العلم له أصولاً كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً ولعلم القفه أصولاً ومن تلك القواعد والأصول معرفت وجوه الخطاب في القرآن الكريم

الأول: خطاب العام المراد به العموم

تعريفه:

لغة: مأخوذ في العموم ، وهو الشمول 1 إصطلاحاً: يختلف الأصوليون في تعريف العام على عبارات مختلفة لكن أحسن هو: كلام مستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، دفعة ، بلا حصر وهذا التعريف هو الذي رجحه المحققون من العلماء والأصوليين ، كشيخ الاسلام 2 والإمام ابن حزم الظاهري 3 والرازي 4 والغزالي 5 والشنقيطي 6 وهو تعريف لجمهور الأصوليين

والمراد بخطاب العام المراد به العموم ، ما يريد به العموم قطعاً ، وهو الذي اشتمل على قرينة تنفي احتمال تخصيصه

مثل قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) 7

وقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) 8 فهذا عام لا خاص فيه

قال الإمام الشافعي رحمه الله " فكل شيء في سماء وأرض ، وذو روح وشجر وغير ذلك فالله خلقه، وكل دابة فعلى الله رزقها ، ويعلم مستقرها و مستودعها " 9

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) 10 المراد به كل الإنسان

وقال تعالى: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) 11 ذكر الله أنه لا يظلم أحداً ، فلا ينقص من

حسنات محسن ، اي كان ولا يزيد من سيئات مسيئ أي كان ولا يعاقب على غير ذنب ومثل هذا كثير في القرآن.

الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص

اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الخاص ، فعرفه البعض بأنه " اللفظ الدال على

واحد بعينه " 12

وقال البعض هو : ما لا يعم شيئين فصاعداً 13

وقال آخرون هو : اللفظ الدال على الواحد عيناً مثل " زيد " 14

وغير ذلك في العبارات ، وكلها ترجع إلى معنى واحد وهو : أنه كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الإنفراد وأمثله في القرآن كثير :

قال تعالى : (دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) 15 المراد به أبو جهل لعنه الله ، ويقال له ذلك تحكماً ، لأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : " ما بين جبلين أعز ولا أكرم مني "

16

قال تعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) 17 وغير ذلك من الآيات

الثالث: خطاب الخاص ، والمراد به العموم

كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِعَاقِبَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) 18

فائدة: ذكر كثير من المفسرين ان الواقع في القرآن الكريم ان الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم على ثلاث أقسام:

1 : قد يتوجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم ولا يكون داخلاً فيه قطعاً ، وإنما المراد به الأمة بلا خلاف ، من ذلك قوله تعالى في بر الوالدين (وَوَقَصَى رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) 19

ومعنى قوله " إِمَّا يَبُلُغَنَّ " أي يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر ، فلا تقل لهما أف و

معلوم أن والديه صلى الله عليه وسلم قد مات قبل بزمن طويل ، فلا وجه لإشترط

بلوغهما أو احدهما الكبير بعد أن مات منذ زمن طويل إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت أن مثل هذا من أساليب اللغة العربية ، فمن أساليب اللغة خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره و مثله قوله تعالى (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا) 20

فالظاهر أن الخطاب في هذه الآية متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشرع لأم ته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له ، لأنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه لا يجعل مع الله إلهاً آخر. وغير ذلك من الآيات

2 : أن يكون خاصاً به لا يدخل معه غيره قطعاً كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) 21

3 : هو ما نحن بصددده خطاب خاص المراد به العموم ، ويدخل في هذا البحث قاعدة

عظيمة وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب 22

يعني إذا نزلت الآية لسبب خاص ولفظها عام ، كان حكمها شاملاً لسببها ولكل ما يتناولها لفظها ، لأن القرآن نزل تشريعاً عاماً لجميع الأمة فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه

ففي قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ----- فا فتتح الخطاب بالنبي والمراد سائر من يملك الطلاق قالوا : كان النداء للنبي والخطاب للأمة تكريماً للرسول وتكليفاً للأمة وقيل : خ وطبت الأمة في شخصية الرسول كخطاب الجماعة في شخصية رئيسها . قال ابو بكر الصيرفي " كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة (خالص ة لك) علم أن ما قبلها له ولغيره " 23 وغيره من الآيات

الرابع : خطاب العام والمراد الخصوص

يختلف العلماء هل وقع ذلك في القرآن أم لا ؟ فأنكره البعض ، والصحيح أنه واقع ذكر الإمام الشافعي 24 والزرکشي 25 الأمثلة على وقوع ذلك في القرآن

لك قوله تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) 26

وعومومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعاً ، والمراد بعضهم فلأول نعيم بن سعيد الثقفي ، والثاني أبوسفيان و أصحابه 27

قال الإمام شافعي : " فإذا كان من مع رسول الله صلواته عليه وسلم ناساً غير من جمع لهم من الناس وكان المخبرون لهم ناساً غير من جمع لهم وغير من جمع عليه معه وكان الجامعون لهم ناساً ، فالدلالة بينة مما وصفت : من أنه جمع لهم بعض الناس دون بعض "

28

ومثله قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) 29

قال الإمام الشافعي : فمخرج اللفظ عام على الناس كلهم ، وما هو معلوم عند أهل العلم بلسان العرب منهم أنه إنما يراد بهذا اللفظ العام المخرج بعض الناس دون بعض لأنه لا يخاطب بهذا إلا من يدعو من دون الله " 30

ونظيره قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَتَّبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَالْجُنَاحُ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) 31 وهذا عام في الحامل وغيره ثم خص بقوله تعالى (وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) 32 وله أمثلة كثيرة في القرآن الكريم

الخامس: خطاب الجنس

نحو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) 33 وهو في القرآن كثير ، فإن المراد جنس الناس لا كل فرد ، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب . فيدخل فيه الأحرار والعبيد ، والرجال والنساء ، وهذا باتفاق الع لاء واختلف الأصوليون في دخول النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) والأكثر رجحوا دخول النبي في هذا الخطاب قال الراغب الأصفهاني فيما يتعلق بهذا النوع من الخطاب " والناس " قد يذكر ، والمراد به

الفضلاء دون من يتناوله اسم " الناس " تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية ، وهو وجود العقل والذكر وسائر القوة المختصة به ، فإن كل شئٍ عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه ، كاليد فإنها إذا عدت فعلها الخاص بها ، فإطلاق اليد عليها كإطلاقه على يد السرير ومثله قوله تعالى : (أَمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) 34 أي كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية ، ولم يقصد بالإنسان عينا واحداً ، بل قصد المعنى .

السادس : خطاب العين

وهو في القرآن كثير نحو قوله تعالى (وَفُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) 35 وقوله تعالى (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) 36 وغير ذلك من الآيات .

فائدة أولى : ولم يقع في القرآن النداء بـ " يا معبد " بل " يا ايها النبي " و " يا ايها الرسول " تعظيماً له وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه 37 فائدة ثانية: اختلف المفسرون في الخطاب الخاص بالرسول كقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) 38 وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ----) 39 هل يشمل الأمة أم لا ؟ ورجح الأكثر من المحققين انه يشملها لإعتباره قدوة لها 40 فائدة ثالثة: من تعمق النظر في القرآن و تفاسيره يجد فرقاً واضحاً بين استعمال لفظ " يا ايها النبي " و " يا ايها الرسول " يجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول ، وكذا عكسه كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) 41 (

وتأمل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) 42 في مقام الإقتداء بالكتاب والسنة ثم قال " لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ " فكأنه جمع له المقامين: معنى النبوة والرسالة تحديداً للنعم في الحالين.

السابع : خطاب المدح

كقوله تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) 43
 وقوله " يا أيها الذين آمنوا " و هذا كثير في القرآن وقد يرد الخطاب بذلك ليعتبار
 الظاهر عند المخاطب ، وهم المنافقون فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان كما قال تعالى : (44
 قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ)

الثامن : خطاب الذم

نحو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) 45 وقوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا
 الْكَافِرُونَ) 46
 ولتضمن هذا الخطاب الإهانة والذم لم يقع في القرآن غير هذين الموضعين
 فائدة: كثير الخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا" على المواجهة مدحاً لهم ، وفي جانب الكفار على
 الرغبة إعراضاً عنهم، وإهانة وذمهم كقوله تعالى (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ
 مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأُولَى) 47

التاسع : خطاب التهكم

وهو الإستهزاء بالمخاطب كقوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) 48
 وهو الخطاب لأبي جهل ، لأنه قال ما بين جبليها ، يعني مكة ، أعزولا أكرم مني ، فقتله
 الله يوم بدر و أذله ، فأنزل الله هذا الآية 49 والنزل ما يعد للضيف ويكون أول ما
 يأكله والمعنى ان ما ذكر من شجر الزقوم ، وشراب الحميم ، وهو الذي يعد لهم ويأكلونه
 يوم القيامة وفي هذا تهكم واستهزاء بهم ، لأن النزل هو ما يجهد للأضياف تكرمه لهم
50 وغير ذلك في الآيات الكثيرة

العاشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد

نحو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) 51
 والمراد به الجميع لا فرداً واحداً بدليل قوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) 52

وكتوبه تعالى (قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) 53 ولم يقل "ضيوفي" لأنه مصدر والمراد به الجمع لا الإفراد
 وقوله تعالى (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) 54 ولم يقل رفقاء ، وهو المراد من الآية وغير ذلك من الآيات الكثيرة

الحادي عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع

نحو قوله تعالى (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) 55 أي إرجعني ، ووجه صيغة الجمع (رب ارجعوني) ولم يقل (رب ارجعني) بالإفرد :
 أ - لأن صيغة الجمع لتعظيم المخاطب وهو الله تعالى ، فالنادم السائل يتركب صيغة الجمع في ذلك الوقت تعظيماً لوجهه ، ورجح العلامة الشنقيطي هذا الوجه.
 ب - وقيل : ان قول " رب " استغاثة به تعالى وقوله (ارجعون) خطاب للملائكة

56

ومنه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)

57

فهذا خطاب للنبي وحده إذ لاني معه ولا بعده ، ومنه قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ

الْمُرْسَلِينَ) 58

فظاهر الآية تدل على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين بدليل صيغة الجمع والمراد منه نوح عليه السلام وحده ، ووجه إتيان صيغة الجمع انه لما كانت دعوة الأنبياء واحدة وهي : لا اله الا الله صار مكذب واحد منهم مكذباً لجميعهم وغير ذلك في الآيات

الثاني عشر : خطاب الواحد والجمع بلفظ الإثنين

كقوله تعالى (أَلْفَيْنا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَنبِدِ) 59 اختلف المفسرون في هذه الآية ذهب بعض المفسرين إلى ان المراد من الآية - السائق والشهيد المذكورين في الآية التي قبلها وهي " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" وذهب الآخرون إلى انه من باب الخطاب الواحد والجمع بلفظ الإثنين ورجح الإمام الشوكاني هذا الرأي 60

وذكر عليه أمثلة في كلام العرب واستعمالهم لمثل هذا ونقل الزركشي عن الفراء قولاً آخر وهو : ان الخطاب لحزنة النار والزبانية فيكون من باب خطاب الجمع بلفظ الإثنين 61

الثالث عشر : خطاب الإثنين بلفظ الواحد

نحو قوله تعالى (قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى) 62 أي و هارون وخص موسى بالنداء لكونه الأصل في الرسالة
وقوله تعالى (فَأْتِنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) 63 ولم يقل : رسولا وغير ذلك في الآيات

الرابع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد

كقوله تعالى (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) 64
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وجمع في الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أسلوب من أساليب القرآن العظيم الكثيرة المختلفة .
و نحوه قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ مَا بَدَّرْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) 65 فثنى في الأول حيث جعل الخطاب مع موسى و هارون ، ثم جمع حيث جعل الخطاب لهما ولقومهما ، ثم افرد في الثالث فجعل الخطاب لموسى ، لأنه الأصل في الرسالة وهارون تابع له 66

الخامس عشر : خطاب الإعتبار

كقوله تعالى حاكياً عن صالح لما هلك قومه (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) 67 خاطبهم بعد هلاكهم، اما لأنهم يسمعون ذلك كما فعل النبي بأهل بدر، واما للإعتبار

السادس عشر : خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) 68

فلفظ "طائعين" جمع مذكر عاقل، وصاحبها ضمير تثنية لغير عاقل، والمفروض ان يكون " طائعتين " مطابقاً صاحبها في التثنية الجواب عن ذلك : ان لفظ " طائعين " جمع للسموات والأرض ، لأن السموات سبع والأرضين كذلك بدليل قوله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) 69_ فالتثنية لفظية فقط تحتها اربعة عشر فرداً وأما إتيان الجمع على صيغة جمع العقلاء ، فلأن العادة في اللغة العربية أنه اذا وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل أجري عليه حكمه .
 وكقوله تعالى (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) 70_ فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع مالا يعقل كذلك يؤمر

السابع عشر : خطاب التهيج والإثارة

كقوله تعالى (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ) 71_

حزهم ورجبهم على التوكل على الله ، وان المؤمنين حقهم ان يفعلوا ذلك أي التوكل وكقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) 72_ فالله سبحانه وتعالى وصفهم في بداية الآية بالآيمان ثم قال : " إن كنتم مؤمنين " فقد حزنهم على ترك الربا وان المؤمنين حقهم أن يفعلوا ذلك والآيات في هذا كثيرة.

الثامن عشر : خطاب التنفير

كقوله تعالى (وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) 73_

فقد جمعت الآية أوصافاً وتصويراً لما نيا له المغتاب من عرض اخيه على أفضع وجه ، وفي ذلك محاسن كالإستفهام الذي معناه التقريع والتنفير والتوبيخ ، وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولاً بالحبية ، واسناد الفعل إلى " احدكم " فيه اشعار بأن احداً لا يجب ذلك ولم يقتصر على تمثيل الإعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله " أخواً " ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله " ميتاً " وهذه كلها مبالغات عظيمة تفيد التنفير من الشيء المنهني عنه وغير ذلك من الآيات

التاسع عشر : خطاب التحنن والإستعطف

كقوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) 74
قال الإمام الشوكاني حفظه الله " واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله
لإشتمالها على أعظم بشارة فإنها أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشریفهم و مزيد
تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والإستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك
بالنهي عن القنوط من الرحمة ثم ذكر بعد ذلك المغفرة من الذنوب جميعاً إلا الشرك كما
هو موضح في القرآن - " 75 فمثل هذا التحنن والإستعطف مما يلين القلب ولو كان
قاسياً

العشرون : خطاب التصيب

كقوله تعالى (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)
76
وكقوله (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) 77 انما قال هارون لأخيه " قال
يينوم " لأن قرابة الأم أشد عطفاً وحناناً ومحبة من قرابة الأب ، وفي كليهما حناناً ومحبة

الحادي والعشرون : خطاب التعجيز

كقوله (قُلْيَا تُؤْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ) 78
قال الإمام الشوكاني في تفسير الآية الأولى " وهو أمر أي (فأتوا) معناه التعجيز - 79
وكقوله تعالى (قُلْ فَاذْرُوا عَنِّي أَنفُسِكُمُ الْمَوْتُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 80 وغير ذلك من
الآيات

الثاني العشرون : خطاب التلوين وتسمي أهل المعاني الإلتفات

الإلتفات هو : العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس 81
وقيل : هو تحويل اسلوب الكلام من وجه إلى آخر 82
وله اقسام :

1 الإلتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبعثه على الإستماع حيث اقبل المتكلم عليه وأنه اعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

83

الأصل: " واليه أرجع " فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، فهو قد أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه ، تطفأً بهم ومنه قوله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) 84 ولم يقل " لنغفرلك "

2 - الإلتفات من التكلم إلى الغيبة

ووجهه أن يفهم السامع ان هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب و اراد بالإنتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب ، من قرعه في الوجه بهام الحجر كقوله تعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) 85_ ولم يقل " لنا "

3 - الإلتفات من الخطاب الى التكلم

قال الزركشي: يمكن أن يمثل بقوله تعالى (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) 86 على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب 87

4 - الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

88

فقد إلتفت عن " كُنْتُمْ " إلى " جَرَيْنَ بِهِمْ " وقوله تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ

إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) 89

والأصل " فقطعتم " عطفاً على ما قبله لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة

5 - من الغيبة إلى التكلم

كقوله تعالى (فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) 90 عدل عن الغيبة في " قضاهن" و"سواهن" إلى التكلم في قوله " زينا السماء " للإهتمام بذلك والإخبار عن نفسه ، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا و حفظاً ، تكديباً لمن أنكر ذلك

6 - من الغيبة إلى الخطاب

7 - كقوله (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) 91 - ولم يقل " لقد جاؤا " للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخاً عليه منكر عليه قوله ، كأنه يخاطب به قوماً حاضرين

وكقوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) 92 - فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله " إياك --- "

ولإلتفات فوائد منها :

- 1 - حمل المخاطب على الإنتباه لتغير وجه الأسلوب عليه
- 2 - حمله على التفكير في المعنى ، لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب
- 3 - دفع السامة والملل عنه ، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى الملل غالباً
- 4 - قصد الإهتمام وقصد التوبيخ وغير ذلك من الفوائد.

الحواشي

- 1- الكافية في الجدل - لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله، ص 50
- اصول الفقه الإسلامي - الدكتور وهبة الزحيلي، 243/1
- تيسير الأصول - الزاهدي - حافظ ثناء الله، ص 95

- 2- المسودة في أصول الفقه = جمعها - شهاب الدين أبو العباس الحنبلي، ص 574
- 3- الإحكام في أصول الأحكام - ابن حزم الظاهري، 1/263
- 4- المحصول في أصول الفقه - فخر الدين رازي، 1/513 - 2
- 5- المستصفي من علم الأصول - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، 32، 2
- 6- مذكرة في أصول الفقه - محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص 243
- 7- القرآن 6 - 11
- 8- القرآن 62 - 39
- 9- الرسالة - للإمام محمد ابن ادريس الشافعي، ص 54
- 10- القرآن 6 - 82
- 11- القرآن 49 - 18
- 12- المسودة - لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص 571
- 13- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، محمد بن عثمان المارديني الشافعي، ص 145
- 14- الكافية في الجدل، ص 50
- 15- القرآن 49 - 44
- 16- فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني ، 4/756-757
- وغر التبيان في من لم يُسم في القرآن - بدرالدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الكناي، ص 474
- 17- القرآن 37 - 33
- 18- القرآن 1 - 65
- 19- القرآن 24 / 23 - 17
- 20- القرآن 22 - 17
- 21- القرآن 50 - 33
- 22- اضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، 221/8

- 23- البرهان في علوم القرآن، امام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ي، 218/2
- 24- الرسالة للإمام الشافعي، ص 58 / 59 / 60
- 25- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 220/2-221-222
- 26- القرآن 3 - 173
- 27- فتح القدير محمد بن علي الشوكاني، 648/1-649، وغرر التبيين في من لم يسم في القرآن، ابن جماعة الكناي ص 232، و أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن لشرقيطي، 234/1 - 235
- 28- الرسالة للإمام الشافعي ي ص 59
- 29- القرآن 22 - 73
- 30- الرسالة ص 60
- 31- القرآن 2 - 234
- 32- القرآن 65 - 4
- 33- القرآن 2 - 168
- 34- القرآن 2 - 13
- 35- القرآن 2 - 35
- 36- القرآن 37 - 105
- 37- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 228/2 وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، 408/7
- 38- القرآن 22 - 1
- 39- القرآن 5 - 41
- 40- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص 229 طبع: مؤسسة الرسالة بيروت
- 41- القرآن 5 - 67
- 42- القرآن 49 - 1 / 2
- 43- القرآن 24 - 31
- 44- القرآن آية 41 -
- 45- القرآن 66 - 5 - 7

- 46- القرآن 109 – 1
- 47- القرآن 8 – 38
- 48- القرآن 44 – 49
- 49- تفسير ابن كثير 146/4 وتفسير فتح القدير للشوكاني 4 / 755 – 756
- 50- فتح القدير للشوكاني 205/5
- 51- القرآن 84 – 6
- 52- القرآن 103/2 – 1
- 53- القرآن 15 – 68
- 54- القرآن 4 – 69
- 55- القرآن 63 – 99
- 56- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لشنقيطي، 559/5
- 57- القرآن 63 – 51
- 58- القرآن 26 – 105
- 59- القرآن 50 – 24
- 60- فتح القدير للشوكاني، 101/5
- 61- البرهان في علوم القرآن، 239/2
- 62- القرآن 20 – 49
- 63- القرآن 26 – 16
- 64- القرآن 10 – 61
- 65- القرآن 10 – 87
- 66- فتح القدير للشوكاني، 653/2
- 67- القرآن 7 – 79
- 68- القرآن 41 – 11
- 69- القرآن 65 – 12
- 70- القرآن 34 – 10
- 71- القرآن 10 – 84

- 72- القرآن 2 - 278
- 73- القرآن 12 - 49
- 74- القرآن 53 - 39
- 75- فتح القدير، 617-616/4
- 76- القرآن 42 - 19
- 77- القرآن 94 - 20
- 78- القرآن 23 - 2
- 79- فتح القدير، 139/1
- 80- القرآن 168 - 3
- 81- كتاب التعريفات للحرجاني ص 51
- 82- البرهان في علوم القرآن للزركشي، 3/314 و أصول في التفسير شيخ العثيمين ص 61
- 83- القرآن 22 - 36
- 84- القرآن 2 / 1 - 48
- 85- القرآن 2 / 1 - 108
- 86- القرآن 21 - 10
- 87- البرهان في علوم القرآن للزركشي، 3/317
- 88- القرآن 22 - 10
- 89- القرآن 93 / 92 - 21
- 90- القرآن 12 - 41
- 91- القرآن 89 / 88 - 19
- 92- القرآن 5 - 1 - 1 الى 5